

تجربتي التربوية

دكتور زكى نجيب محمود

توطئة :

على مدى يقرب من الستين عاما ، ظل - وما يزال - الدكتور زكى نجيب محمود طاقة فكرية هائلة تمد الثقافة العربية بزايا خصب متعددة الجوانب من الفكر ، حتى أصبح علامة على الطريق .. خلق العالم .. وعمق الفيلسوف .. وبراعة الأديب .. جمع على لسانه وقلمه الثقافتين : العربية ، والغربية ، أستاذ جامعى فريد من نوعه التزاما ومنهجيا وتعليميا ..

ولما كان هو نفسه « نتاج تربية » تعددت عواملها ، كان لابد أن يدفعنا الفضول العلمى الى محاولة استكشاف جوانبها وتبين اتجاهاتها .. ولاشك أن هذه التجربة (التربوية) عندما تجيء على لسان مفكرنا نفسه ، ولهذه المجلة خصيصا .. فان القيمة التاريخية والعلمية والتربوية لهذا العمل الذى بين يدي القارئ لا تحتاج الى دليل ..

حدثته تليفونيا بالفكرة .. فرحب الرجل بها .. وذهبت ومعى د . محمد وجيه زكى الصاوى .. وأقول الحق ، لقد أشفقت على الرجل عندما رأيته لأول مرة منذ سنوات طويلة .. لقد أجهده سنوات العمر الطويلة - مد الله له المزيد منها - وأصبح بصره .. شاحبا الى أدنى حد .. كان فى المنزل وحيدا حيث لم تكن رفيقة عمره ، د . منيرة حلمى موجودة فى ذلك الوقت ..

وبالرغم من كل هذا فقد انطلق الرجل يفيض من علمه وفكره ما يقرب من ساعتين ونصف !!

كانت هذه المقابلة فى يوم الأحد ١٤/٩/١٩٨٦ بدأت الساعة العاشرة صباحا ، وانتهت ما يقرب من الواحدة ظهرا الا قليل ..

انها بداية سلسلة من اللقاءات نرجو أن نقوم فى كل عدد بواحد منها مع واحد من كبار مفكرينا ، من هذه الزاوية التى نخصها بالذات ٠٠ تجربته التربوية ٠٠

« التحرير »

تلميذا فى التعليم العام

— بماذا تميزت به المدرسة الانجليزية (كلية غوردون) التى التحقت بها أثناء فترة عمل الوالد بالسودان عما خبرته من قبل فى مدرسة السلطان حسين بالقاهرة ؟

● أولاً ، قبل أن ينتقل الوالد الى حكومة السودان عندئذ ويأخذ أسرته معه ونحن معه كنا مازال دون العاشرة ، وكان التعليم الذى مارسناه فى القاهرة ومن قبل القاهرة ، فى قريتنا فى محافظة دمياط الآن المدرسة الأولية .

لما سافر الوالد وسافرنا معه الى الخرطوم سنة ١٩١٤ ، كان عمري تسع سنوات وكنت قد فرغت من المدرسة الأولية بالقاهرة التى هى مدرسة السلطان (مصطفى * ٠٠) فى ميدان السيدة زينب والتى ما تزال قائمة الى الآن ، لأئنى أذكر أئنى منذ بضع سنوات كنت أمر هناك ، وتعمدت المرور عليها فوجدت المبنى قائماً ٠٠ انه مبنى أثرى على هيئة سبيل وهو على ناحية حارة الكاشف فى ميدان السيدة زينب .

المقارنة بين المدرسة الأولية بالقاهرة وكلية غوردون التى التحقنا بها غير ممكنة لأن المدرسة الأولية ، كانت تتعلق بالأوليات ، أما كلية غوردون ، فكانت مركب من مدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية فى آن واحد . وكانت هى المدرسة الوحيدة التى يؤمها الطلاب السودانيون من حيثما جاءوا من أقطار السودان ، كانت المدرسة مؤسسة على نظام انجليزى صرف ، يعنى لم تدرس

انها السلطان مصطفى ، وربما كان ذلك لطول العهد ، فهى بالفعل مدرسة السلطان حسين .
انها السلطان مصطفى . وكان ذلك لطول العهد . فهى بالفعل مدرسة السلطان حسين .

بالعربية الا دروس اللغة العربية ثم كانت هناك فروق كبيرة جدا وبين ما أعرفه عن المدارس الابتدائية والثانوية في مصر ٠٠ كان هناك اهتمام شديد بما نسميه اليوم (بدروس الأشغال) أو دروس المعلومات العامة ٠٠ لأن دروس الأشغال هذه كانت تدرس لنا في مدرسة الصنائع ، وكانت هناك أيضا مدرسة صنائع ضمن المركب التعليمي المسمى بكلية غورديون ٠٠

كان هنالك درسان ٠٠ ساعتان في كل أسبوع نقضيهما في مدرسة الصنائع نتعلم الحرف المختلفة ، النجارة في مقرر ، الحدادة في مقرر ، الكهرباء في مقرر ٠٠ وهكذا والامتحان يكون في فصل النجارة في مقرر النجارة : اعمل منضدة ، مقاييسها كذا وكذا ٠٠ الى هذا الحد ، هذا جانب عملي صرف ، وأعتقد أنه كان مفيدا ومرحا مثل هذا غير موجود ٠٠

- ونحن في حاجة اليه ٠٠

● لا ادري اذا كنا في حاجة اليه أم لا ،

مظهر آخر في المقارنة أو هو سلبي ، تجنب تعليم أى مادة تغرس الشعور القومى فى النفوس ، فالتاريخ كان لا يكاد يعطى منه شيئا ، وكذلك دروس التربية الوطنية التى تبث عادة لغرس وتنمية هذا الشعور ، لم يكن هناك منها شيء ٠٠

الألعاب الرياضية ، كانت تنافس ، ان لم تكن أفضل من دروس المواد فكان كل تلاميذ المدرسة يقسمون الى درجات فى لعبة كرة القدم - مثلا - لا يفر واحد ، لأن المسألة لم تقم على الاختيار ٠٠

وكنا ندرس اللغة العربية ، واللغة الانجليزية ، والجغرافيا ٠٠ وهكذا وكنا نلعب الكرة أقساما ، ولها حضور وغياب ٠

قسمت كلية غوردون الى أربعة بيوت أو ما نسميه هنا (الأسر) ثلاثة بيوت منها للطلاب الآتين من أقسام السودان المختلفة ، شرق السودان وغرب السودان ، وجنوبه ٠٠ وكنا نحن فى البيت الرابع ، التلاميذ (الخارجية)

هؤلاء أصحاب الأقسام الثلاثة ، كانوا (باخلية) عكسنا ، وحتى ونحن (خارجية) كانت تقرر علينا ألعاب نلعبها فى العصر ، وبها حضور وغياب ، ولها رئيس علينا ولها أيام مخصوصة ٠٠ هناك فى ساحة كبيرة فى المدينة ٠٠

مثل هذا لا أعتقد أنه وجد فى المدرسة المصرية ، ولا أدرى أيضا اذا كان من الخير أم لا أن يبالغ فى هذا الجانب ٠٠

ولأمر ما ، كان التلاميذ هناك أيامنا يقرءون قراءات خاصة فى الأدب العربى القديم ، الشعر العربى ، المعلقات وغيرها ، كنا مضطرين حتى ولو لم يكن فينا الرغبة الطبيعية فى أن نحفظ الشعر ونقرأ الكتب ونأتى لمناقش الآخرين فيما قرأناها ٠٠ كنا مضطرين أن نساير هؤلاء ٠٠ فعادة القراءة وبخاصة الأدب ، وبخاصة الخاصة بقراءة الشعر وحفظه .

— كان هذا تعبيراً عن اهتمامات خاصة ، أم جزءاً من نظام الدراسة ؟

● لا لم يكن جزءاً من نظام الدراسة ٠٠ هذه كلها وضعت فينا بدور ٠٠ وربما ظل هذا معنا الى الآن ٠٠

ثم لا ننسى النظام الدقيق جدا جدا فى المواعيد وفى الثواب والعقاب ، وهذا من مكونات الشخصية بالضرورة ٠٠ لكن لا أدرى بالنسبة للمجموع الكلى لحاصل هذا النوع من التعليم هل كان فى صالحى أو فى غير صالحى ربما تحتاج المسألة الى تحليل علمى دقيق ٠٠ فربما كان اندفاعى الى القراءة والى التحصيل فيما بعد نتيجة من النتائج ٠٠ وربما اهتمامى بالأدب ولو أنى لم أدرسه واهتمامى بالشعر ولو أنى لست شاعرا ٠٠ يجوز كل ذلك بقيمة من المناخ العام فى هذه المدرسة ٠٠ فلا بد أن يكون لها تأثير ٠٠ فمثلا اهتمامى بدقة المواعيد الى الآن ٠٠ لا أنكر يوما واحدا تقريبا بلا مبالغة ، أفلت منى موعد ولو بدقيقة واحدة ٠٠ لقد درست ما يزيد على خمسين سنة ٠٠ لا أنكر أن تأخرت مرة واحدة دقيقة واحدة ٠٠ فى إحدى المحاضرات ، بل بالعكس ٠٠ كنت أذهب قبل المحاضرة دائما ، ثم انتظر الطلاب (دراسات تدرؤية)

من يدرى ويجوز جداً أن يكون هذا نتيجة لتربيتي (الأسرية) من جهة ،
ومن جهة أخرى نتيجة للمدرسة . . .

على كل حال أترك المسألة بعدئذ من حيث التقويم ، هل هي في
المحصلة النهائية خير أو خير منقوص . . . ؟

كيف جمعت بين الثقافتين ؟

— ان هذا يجعلنا نناقش معكم تلك الملحوظة التي تبدو واضحة
لكل من تابع انتاجكم الفكرى ، ألا وهي امتلاككم لناحيتى الثقافة العربية
والثقافة الغربية فى آن واحد . . . ان الذى يقرأ لكم يحسب أنه يقرأ لأستاذ من
الدرجة الأولى فى اللغة العربية وفى الأدب (العربى) هذا على الرغم مما
عرفناه من أن تعليمكم الابتدائى وجزءاً من الثانوى كان فى عقر دار الثقافة
الانجليزية فى كلية غوردون ، وكذلك الأمر حيث انهيتم المرحلة الأخيرة
فى البعثة فى قلب الثقافة الانجليزية فى لندن . . . هل كان للتعليم أثر عليك
فى ذلك ؟

● أنا ممن تأثروا - الى جانب المدرسة - بل ربما أقوى جداً مما
تأثرت به فى التعليم المنظم بالمدرسة ، من الحياة الثقافية العامة ، والاندفاع
الى القراءة . فأنا لو سئلت : من هم الأساتذة الذين تأثرت بهم ؟ يصعب على
جداً أن أذكر اسماً واحداً ، بل فى شيئاً من اهتماماتى الحقيقية ، ولكن
المواقع الذى حدث ، هو أننا لما فرغنا من الدراسة فى كلية غوردون ، طبعا
اضطررنا الى العودة الى مصر ، جئنا واللغة الانجليزية والقراءة بها ميسرة
جداً . . . جئنا حيث العشر سنوات التى أعدها سنوات النهضة
الثقافية الحقيقية فى مصر وهى العشرينات ، بعد ثورة ١٩١٩ مباشرة الى
الثلاثينات ودخولاً فيها . . . الى أن قامت الحرب العالمية الثانية . . .

هذا اسمان : لطفى السيد ، وشوقي ، وحافظ إبراهيم ، وطه حسين ،
والعقاد ، والنازنى ، وعلى عبد الرازق وأحمد حسن الزيات ، وسلامة
موسى . . . مصطفى عبد الرازق . . . هذا الرعيل ، كان يصطخب به الجو
الثقافى الى درجة لا مثيل لها . . . لماذا ؟ لأنه بالطبع قبل ثورة ١٩١٩ ، كانت

هناك العوامل التي ستؤدي إليها بانئة من محمد عبده ، قاسم أمين ، عبد الله التتيم . الخ . فهذا عهد كانت له قوته بالطبع لم نعشه نحن . فلعلنا فجرت ثورة ١٩١٩ ، كنتيجة للمد الثقافي والانشار الثقافي الذي امتد من بداية الاحتلال سنة ١٨٨٢ الى ١٩١٩ ، بدأنا نحن نتلقى . نتلقى ممن ؟ من هؤلاء

ثورة ١٩١٩ ، كانت ثورة سياسية ، ولكن لم يمض زمن حتى تفجرت منها عدة ثورات في كل منحى وفي كل اتجاه من اتجاهات الحياة ، ثورة في الاقتصاد . ثورة في الفن التشكيلي ، ثورة في النقد الأدبي . الخ . في سنة ١٩١٩ كانت الثورة أو في سنة ١٩٢٠ ، كان سيد درويش بموسيقاه الجديدة ، وكان طلعت حرب بينك مصر ، وكان العقاد والمازني بالنقد الأدبي الجديد ، محمود مختار بالفن الجديد . وكذلك محمود سعيد ، وعلى عبد الرازق بالرؤية الجديدة للاسلام وأصول الحكم . طه حسين بالرؤية الجديدة في النقد الأدبي الجديد في كتابه الأدب الجاهلي الذي كان اسمه (في الشعر الجاهلي) ثم عدل . أحمد شوقي الشاعر بمسرحياته الشعرية فلال مرة تعرف اللغة العربية شيئاً اسمه المسرح الشعري . وتوفيق الحكيم بمسرحيته النثرية . أهل الكهف . هذه المسرحيات كانت مسبقة بمسرحيات عادية ، لكن أهمية هذه المسرحيات أنها كتبت بحيث تصبح جزءاً من الأدب العربي . انذ لم يكن أحد ليؤرخ للمسرحيات السابقة ممصرة أو غير ممصرة التي كانت تمثل في روض الفرج ، وفي غير روض الفرج . يؤمها الجمهور ، لكنها لم تكن جزءاً من الأدب . أما المسرحيات التي أشير إليها ، فلال مرة تصبح جزءاً من الأدب العربي . شعرا على يد شوقي ونثرا على يد توفيق الحكيم .

هذه كلها تدلنا على أن المسألة لم تكن مسألة كتاب يكتبون . ولكن الكتاب يكتبون ليدقوا طرقاً جديدة في حياتنا الثقافية . يكاد لا يمضى عام الا وهناك كتاب يشق طريقاً جديداً . على سبيل الثورة الفكرية أو الفنية في هذا الطريق . فنحن كنا في هذا المعمان - ونحن في صدر الشباب مزودين بالاندفاع نحو القراءة . وأنا أقولها دائماً ، لا أظن أن واحداً من هؤلاء قد كتب صفحة واحدة ، ولم أقرأها . هذا التتبع أعطانا نماذج : كيف نريد أن نكون في المستقبل . هذه نقطة مهمة جداً في تكوين الانسان . ليست النقطة هنا أن أحاكى فلاناً أو علاناً . كلام من هو المثل

الأعلى ؟ التي أين تشير ؟ فكان يمكن أن يكون هناك ستيسيين ، ثايرين ، واخين
بمناصب الوزارة فأتعلق بالوزارة ، أى بفكرة أن أكون وزيراً ، أن أكون
من رجال السياسة ، ..
كان هناك اقتصاد جديد على يد طلعت حرب ، ومشروعات ، وأموال
فى مصطرح الحياة الجديدة ، فربما يتعلق خيالى بالمثل الأعلى بأن أكون
غنياً ، .. وهكذا ولكن ، لأمر ما ، ما دلم السلاح الذى عندى أن أقبراً ، ..
وما دام هؤلاء هم الذين يقرأ لهم عندئذ ، فقد تعلق خيالى بمثل أعلى من هذا
القيل ، .. وهذه فى نظرى من أهم المهام على المرءى ، سواء كان والداً ، أو
كان معلماً ، .. أن يحاول ربط ما عند الناشئ المتعلم من اتجاهات ، بمثل
أعلى يتعلق به ، .. والا يجيء السيف تائها فى خلاء ، .. أنا أتذكر تماماً أن طه
حسين والعقاد ، ومن اليهم رسموا لى : ما أريد أن أكون ؟ ، وعندي :
لا أقول الموهبة ، .. ولكن الرغبة فى القراءة فقط فالأسلحة ان وجدت ، ..
ولعرفتى بالانجليزية ، وحبى للقراءة ، لم اقتصر على قراءة ما يكتبه
الكتاب العربى ، وإنما تعلقت بكثير مما كان يكتبه الكتاب الانجليز عندئذ ،
وبعد ذلك أيضاً ، ..

وفى انجلترا ، كان هناك فريق من الكتاب والمفكرين تفخر به الحركة
الفكرية فى انجلترا حتى اليوم ، وكانوا يسمون أنفسهم Bloom Sburg
نسبة الى اسم الشارع المجاور للمتحف البريطانى ، .. فى
هذا الشارع ، كان لهم نادى يلتقون فيه ، .. من هم ؟ معظم الأسماء
اللامعة التى نسمع عنها : برتراند رسل ، هـ جـ ويلز ، برنادشو ، بن
الخـ ، .. هؤلاء الناس هم الفكر الانجليزى فى ثورته من القرن التاسع عشر الى
العشرين ، .. القرن التاسع عشر فى انجلترا يسمى الى الآن فى كتب الأدب
وفى كتب التاريخ (العصر الفكتورى) ، .. لماذا وسم بهذه السمة ؟ .. لأنه
كان ذاك طباع غريب ، طابع التمسك الشديد جداً بالمظاهر ، حتى ولو خالفت
هذه المظاهر حقائق الأشياء من الداخل ، .. شاع فيها : النفاق الاجتماعى ، ..
عليك أن تظهر بملابس معينة ، تحدى بطريقة معينة ، تتنحى للسيدات فى
المطريق ، .. هذه الشكليات انتشرت حتى عقدت الحياة ، وجعلت لها طابعاً
معيناً ، .. لكن كان لايد من الثورة عليه ، ..

من لاحظ أن الحرب العالمية الأولى كانت بابا مغلقا من الناحية الحضارية
ثم انفتح ٠٠ لأن التجديد الحقيقي جاء منذ هذه الحرب خروجاً من الجمود
الحضارى الذى أقصد به التمسك بالشكليات الى أقصى حد ٠٠ وحتى ولو كان
اللبا ضحيما ٠٠

القرن التاسع عشر يجب ألا تتركه هكذا حتى لا يظن القارئ أنى أخط
من شأنه ٠٠ أبدا ٠٠ هذا القرن موقعه الاستراتيجى فى الفكر العالمى من
أرواح ما يمكن ، ومن أغرب ما يمكن ٠٠ لأنه هو القرن الذى أفرزت فيه
الأفكار الكبيرة جدا ، والتي تركت للقرن العشرين لكى يبسطها ويشرحها
ويهضمها وهو حتى يومنا هذا ، ما زال يؤدي هذه العملية ٠٠

القرن العشرين لم يفرز ٠٠ ولا فكرة كبيرة واحدة يعيشها الناس ٠٠
هناك أربع أفكار بصفة خاصة أفرزت فى القرن التاسع عشر ، وأفرزت
ولم يكن هناك وقت للحضارة أو الثقافة الجديدة أن تهضمها ٠٠ أى تحولها
من الشك الى اللاشعور ٠٠ أى من كونها وعيا الى كونها سلوكا معتادا ٠٠
وهذا هو التحول الحضارى ، أن يتحول ما هو وعى الى لا وعى لبيئة
الناس وهم لا يشعرون أنهم قد تجددوا ٠

أول الأفكار الأربع ، هى فكرة التطور ، هذه الفكرة مكروهة عند
الرأى العام عندما ٠٠ دائما يذكرون على أساسها ٠٠ التطور أن الانسان
أصله قرد ٠٠ الخ وكل هذا تخريف فى تخريف ٠٠ ولكن التطور هذا فكرة
وأملها أنت بأى مادة تريد ٠٠ وبالفعل فكرة التطور عند دارون دخلت عليها
تعديلات كثيرة ٠٠ هذا لا يهم ٠٠ ومن الناحية الفلسفية أيضا ، فكرة التطور
بنيت على أساسها فلسفات كثيرة فى القرن العشرين ، لا شأن لها أبدا بالتطور
البيولوجى الذى يتصل بالقرد وما الى ذلك ، وإنما تطور الكون ٠٠ ثم المراحل
الثقافة تطور الديانات ، تطور نظم الحكم ٠٠ وهكذا أصبح منهاج أصبح كل
استاذ جامعى يستشعر أهميته بحيث تجد أنه عندما يدرس موضوعا ،
فالحظوة الأولى التى لا بد أن يقوم بها ، هى أن ينظر اليه على أنه أطوار ٠٠
أى يسره المراحل التى سار بها لم يكن هكذا الأمر بهذا الوضوح ٠٠ لكن
فكرة التطور انبثت فى عقولنا حتى أصبحت منهج تناول لأى فكرة أريد أن

أبسطها وأشرحها ٠٠ لا بد من معرفة : كيف تطورت حتى وصلت الى المرحلة
الزاهنة ٠٠

فكرة التطور هذه ، تجد أننا بسبب ضحالتنا الثقافية نأخذها بما أثير
حولها من اشاعات فنرفضها دون تريث ٠٠ فنلعبها ونلقى بها فى سلسلة
المهمات ٠٠ انها فكرة كبيرة جدا ٠٠ اذكر تفرعة واحدة فقط منها كى يعرف
القارئ ما أهمية أن تحتل فكرة التطور مركز السيادة فى المناخ الفكرى ،
الا لأنها غير مسبوقه فى الماضى ٠٠ أبدا انها مسبوقه ، ولكن هناك فرق
بعيد جدا بين فكرة تأتي وتذهب عابرة ، وبين فكرة تضرب بجذورها فى
الأرض لتكون هى العمود الذى ترتكز عليه أو بين العمود التى ترتكز عليها
للحياة الثقافية ٠٠ فالتطور فكرة تفرعت عنها أواوية التاريخ فى فهمنا
للاشياء ٠٠

لكى تفهم المناخ الثقافى فى عصر من العصور ، يحسن أن تبحث عن
العلم الأساسى الذى طرح تصوره على الناس ليكون مفتاحا ٠٠ أحيانا
العلم الأساسى ٠٠ مثلا ، خذ أفلاطون وأرسطو فى الثقافة اليونانية القديمة
٠٠ هذان كانا عملاقين فى الحياة الفكرية اليونانية التى هى أصل أصيل
للتقافة فى أوربا حتى اليوم ٠٠ ولثقافتنا نسبيا ، لأن العرب الأسلاف
أخذوهما ، وسكبهما فى شرايين الثقافة العربية ٠٠ من حيث لا ندرى
أصبحا فى الشعر العربى ، وفى النحو العربى ٠٠ الخ ٠

المهم ٠٠ هما فى حياة واحدة ، ولكن أفلاطون سبق أرسطو ٠٠ وجاء
أرسطو ليطور ٠٠ ليكون بداية انتقال الى عهد جديد بعد اليونان ٠٠ فى
الاسكندرية القديمة عندنا ٠٠ كيف حدث هذا ؟

أفلاطون جعل المفتاح الذى يفكر على أساسه هو : الرياضه والهندسة
بصفة خاصة ، ولذلك كتب على الأكاديمية : من لم يدرس الهندسة فلا مكان
له هنا ٠٠ لماذا ؟ لأنه يريد أن يعتمد على (الاستنباط) أساسا ٠٠ على أن
تكون هناك فكرة (أم) نعثر عليها ونجعلها المبدأ الأول ، ثم نعتصر منها
الأفكار الفرعية ، فاذا بنا أمام النسق الفكرى كله ٠٠ هذه طريقته ٠٠ الفكرة
الأم هذه يجب أن نتصورها رياضيا ٠٠ لا حركة فيها ٠٠ كما نتصور

٢٠٢٠٣ هـ أو كما تتصور حقيقة المثلث ٠٠ أنت لا تتصور حياة ٠٠ تتطور
 ٠٠ أنت تتصور حياة تثبت ٠٠ صورة خالدة ، يتغير الزمن ولا تتغير ٠٠
 تتغير الحضارات ولا تتغير ٠٠ تتغير الأكوان ولا تتغير ٠٠ الحقيقة الرياضية ٠٠

من هنا جعل أفلاطون المثل التي نترجمها هكذا بالعربية وان كنت لا أدري

لماذا ترجمناها هكذا ، فهي ترجمة خاطئة لأنها بالانجليزية ideas

وليس ideals أفكار نموذجية ٠٠ أفكار لها ثبات وخلود ٠٠ أفكار

رياضية ، حتى بعد ذلك عندما أستولد منها نتائجها ، تكون هذه النتائج

صحيحة ٠ بمقدار ما تكون مقتربة من هذا النموذج ٠٠ انن لا بد أن تكون

رياضي المنهج ، هندسي المنهج ، مثل اقليدس عندما ولد نظرياته الهندسية

من مقدمات ٠٠

لما جاء ارسطو لم يعجبه هذا المفتاح ٠٠ وأخذ الـ Biology

مفتاحا يفهم به الفكر ، فالفكر ليس بهذا الثبات ٠٠ الفكر فيه تطور ٠٠ كيف؟

كما تنمو الشجرة ٠٠ الشجرة أحوال ٠٠ والطائر أحوال ٠٠ والادى

أحوال ٠٠ تطورات تصنع الانسان وغيره ٠٠ ان حقيقة الانسان ، تاريخه

اذن ، فما الموقف من الحقائق الرياضية ؟ هل تترك ؟ كلا انه قسم المعرفة

الى شقين : شق فيه التعاريف : تعريف الحصان وتعريف الطائر ٠٠ الخ هذه

التعاريف ثابتة ٠٠ ولكن هذه التعاريف ليست رياضية ، بل هي بيولوجية

لأنك تضع فى تعريف الشيء : الوظيفة ، ولا تضع فيه التكوين ٠٠

ان الفرق كبير بين ان تصنف قيثارة كيف بنيت ؟ وبين ان تشير الى

وظيفتها كباعثة أنغام ٠٠ بالانجليزية ، الكلمتين الفرق بينهما أوضح

functions structure ٠٠ الادى منا له (بنية) التي تتمثل فى

(السقالات) ٠٠ الهيكل العظمى ٠٠ أشبه بالهيكل المسلح الذى تقدم عليه

العمارات ٠٠ ثم بعد ذلك تملأ هذا الهيكل بما تريد ٠٠ هو شق ٠٠ دكاكين

٠٠ جراج ٠٠ فالانسائـ cture ثم تاتي الوظيفة ولذلك يقولون ٠٠

هل الذراع اذا شلت تصبح ذراعاً ؟ كلا لو وضعت مكانها ذراع جديد

يتحرك ٠٠ ذراع صناعى ٠٠ هنا ينطبق عليه تعريف الذراع (بالوظيفة)

أكثر مما ينطبق على ذراع الانسان الطبيعى عندما يكون مشلولاً ٠٠ المسألة

وظيفة ٠٠

هذه الرؤية التي تجعل حقيقة الشيء تاريخه .. أطواره .. كانت أفكارا غابرة فيما مضى لكنها أصبحت الآن في عصرنا لتكون من أقوى العمد التي تستند عليها ثقافة العصر .. ومن هنا تأتي قضية التغير .. التغير والثبات شغلا للعقل طوال حياته : هل تنشُد ما هو ثابت : أم ننشُد التغير ؟ كلا الأمرين .. ولكن الذي ينشُد ما هو ثابت ، ويقذف في البحر ما هو متغير .. يبقى يبقى لا ينوي أن يعيش .. هذه المتغيرات جاءت ؟ جاءت لتكون الوظيفة لهيكل الثبات كل هذه التفرعات جاءت نتيجة لفكرة التطور انا كانت هي عمود فقرى للحياة الثقافية ، وهي أحد العمد الأربعة ، أى الأفكار الأربعة التي أفرزها القرن ١٩ ولا نزال نعيشها .. حتى يومنا هذا بالطبع ..

الفكرة الثانية ، فكرة ماركس .. هذه الفكرة بنيت على فلسفة هيغل .. لا يهمنى ما اذا كانت هذه الفكرة صواب أو خطأ ، وانما يهمنى أنها شغلت العالم ولا تزال تشغله .. وفكرة التطور ، وفكرة ماركس عن المادية الجدلية أفرزتا في أواسط القرن ١٩ ، بعد ذلك بقليل جدا ، جاءت فكرة فرويد ، كان معاصرا لهما .. نظر فرويد للانسان نظرة جديدة جدا ..

كان العالم كله .. منذ أرسطو الى وقت قريب تعريف الانسان بأنه حيوان ناطق .. أى اذا سألت : بماذا يتميز الانسان ؟ فتكون الاجابة : بعقله .. لكن ما هو العقل ؟ فى نظر أرسطو هو التفكير المنطقى بالاستنباط وقواعده التى نعرفها من المنطق .. فلما جاء فرويد ، انفتح له باب جديد ، العقل موجود .. نعم ، لكن : هل هو الموجه ؟ أم هو الخادم ؟ الموجه ليس هو ، انما المطلوب منه أن يخدم .. يخدم ماذا ؟ الطريق الذى يريده الانسان .. وكيف يريده ؟ يريده بعقله الباطن ، حتى ولو لم يكن على وعى به .. ان العقل الباطن هو (الدفة) التى تسيّر مركب الانسان وهو لا يدري .. لكن ما وظيفة العقل بالمعنى المعروف .. العقل الظاهر .. ان العقل الباطن هو الذى يضع الهدف لأنه هو الذى يكون الارادة ، الارادة ليست كلمة .. انها اتجاه نحو فعل معين .. افرض اثنى اُرجب السفر الى الاسكندرية ، لو تركت العقل الباطن وحده ، فسأظل جالسا على الكرسي .. سيظل العقل الباطن (يرغب) فى أن يذهب الى الاسكندرية .. فيجىء العقل الواعى ليرسم له الخطة .. تستطيع أن تذهب بالسيارة على الطريق الزراعى أو الصحراوي أو بالقطار

•• الخ •• والسيارة هنا التي صنعها هذا العقل •• والطريق هو أيضا الذي
رضفه •• وهكذا ••
اذن الوسائل التي تحقق للرغبة أو الإرادة ما تشعر به ، يقوم بها العقل
الناطق بالتعريف الأرسطي ، لكن ليس هو الانسان في حقيقته التي تريد ،
وحقيقة الانسان اعادة قبل أن تكون عقلا ، لأن العقل يأتي ليرسم الطريقة
أمام الانسان ••
ولحسن الحظ أن الاسلام يرى هذا •• وأنا تنبهت لذلك تنبهت لها
من خلال الفيلسوف الانجليزي (هو ايتهد) ذكر هذا •• فالاسلام يجعل
الأولية للإرادة ، وتأتي بعد ذلك الصفات الأخرى لتخدم الإرادة ، فالإرادة
خلق •• ابداع •• انها هي التي تجعل الانسان مسئولا ، وليس عقله ، لأنني
لو سرت •• مثلا •• من أول حياتي لآخرها حياة عقلية صرف •• فلن أكون
مسئولا عن شيء ، لأن الطريق الرياضي الذي يسير عليه العقل خطوات تنبسط
بعضها من بعض بقواعد فطرية في الانسان ، ولا فضل لي ، كل المطلوب أن
تكون لدى القدرة على هذا •• أما الإرادة ، ففيها شخصية الانسان ، تريد
(أ) أو تريد (ب) ، ومن ثم فأنت مسئولا عن اختيارك •• فالإرادة لها
أولية •• وبالتالي ، فالرغبة التي تلبس لبوس الإرادة ، أو ما يسمى
بالعقل الباطن أو اللاشعور •• هذا كشف •• لو وقف عند حد ذاته لأصبحت
فكرة عابرة •• لكنها انتقلت لتصبح منها •• وهذا هو الذي جعلها ركيزة
أساسية ن ركائز هذا العصر •• خذ الأدب كله •• شعرا ورواية ومسرحية ،
وخذ النقد الأدبي والنقد الفني ، وانظر كم تأثر بفكره أن الانسان منبعث فيما
بيدعه عن عقله الباطن •• هذا لم يكن يتنبه اليه أحد •• مثلا لو أخذنا نقاد
العرب الأقدمين وأنا طبعا أعدم نقادا من الدرجة الأولى التي شهدها النقد
•• ولكن على كل حال لم يكن يطراً على باله بأى حال من الأحوال ، أن يبحث
في القصيدة عن نفسية الشاعر •• هذا لم يرد الى ذهنه ، فاذا جاء رجل
كالعقاد ليقول ان ابن الرومي من شعره ، في الكتاب المشهور له بهذا العنوان ،
ليحلل شعر ابن الرومي متعقبا في شعره ليدل على نفسية ابن الرومي وكيف
ركبت •• فهذا نقد جديد مبني على فكرة جديدة ، أن الانسان صادر فيما
بيدعه عن عقله الباطن ••

الفكرة الرابعة: هي فكرة أينشتين: أنها لم تكن مجرد فكرة رياضية جديدة، وإنما كانت رؤية جديدة للكون. لو كنا ما نزال على رؤية نيوتن لما استطعنا أن نرسل صاروخا إلى القمر. لماذا؟ لأن نيوتن، بنى تصوره للكون على المسطحات. على نفس الأساس الذى إقام عليه اقليدس هندسته فإذا سار ضوء، فلا بد أن يسير فى خط مستقيم. و سرنا على هذا الظن. لكن فرعا من فروع فكرة أينشتين أن أشعة الضوء تسير مقوسة. منحنية. قد لا نرى هذا على المساحات الضيقة. لذلك ففكرة نيوتن فى الجاذبية وفكرة اقليدس تصدقان على المساحات الأرضية المحدودة. لكن لما تنتقل إلى المسافات الفلكية، نجد الأمر يختلف، فكونى أنى أنا أدركت؟ كيف يكون الخط منحنيا؟ هنا على رأى برتراند رسل: لا تحاول أن تتصور، لأنها كلها أفكار رياضية. يعنى نفس اينشتاين وغيره. كيف جاءوا إلى هذه الحقيقة العلمية؟ جاءوا إليها من حيث هى تصور رياضى. ثم طبقوها. أنك إذا أردت أن تتصور كيف يكون خط الضوء منحنيا؟ فلن تستطيع. لأن تصوراتك وليدة هذه الأرض وما عليها. أنت لا تتصور إلا ما رأيته ناضجا مما رأيته ومما خبرته. وأنت لم تخبر خط ضوئى بكذا مليون سنة ضوئية. ولذلك لا تستطيع أن تتصوره.

إن عبقرية اينشتين وغيره من هؤلاء العلماء. أن يتصور رياضيا. ولذلك فى فلسفة العلوم هذه الأيام أضافوا: (التخمينات) إلى (الفروض). كنا احنا حتى بعد أن انتهينا من مراحل التعليم، كان تصورنا للمنهج العلمى أن أجمع معلومات وأبوابها وأصنفها وأفرض لها فرض يفسرها. فإذا نجح يتحول إلى قانون أو نظرية، فإذا لم ينجح، ابحت عن فرض آخر. لكننا نسينا أمرا هاما من حيث ادراك الحقيقة. وهو: البصيرة. اللمعة. كيف تأتى؟ لا ندرى. فإذا جاءت لمعة عقلية إلى عقل بشرى كبير، وبالطبع هى دائما لا تأتى من فراغ، انه يكون معدا. مشحون بالمادة التى سيلمع اللمعة العقلية أو يتم ذلك فى حدودها. انها لا تأتى عن طريق التخمين conjecture. يصوغها رياضيا، ولا يعرف كيف يتصورها. المهم أنه يطبقها، فإذا انطبقت يستطيع أن يبني على أساسها. فإذا بنى شيء. انتهينا. أنهم فى ادراكهم للذرة النووية، نجد أن أحدا، يأتى ميكروسكوب، لم يرى ذرة. ولكنه يصور conjecture. بدلا مما كانت فكرة الذرة زمان أنها صماء. أيضا تصور. فى الماضى كنا نقول

أن الذرة أبسط الأجسام ، والذرة جسم مصمت بسيط ، لا ينفذ منه ٠٠ كذا
٠٠ الى آخره ٠٠ هل رأينا هذا الحد الأدنى ؟ كلا لم نره ٠٠ وانها فكرة
عقلية ٠٠ اننى اذا حللت ثم حللت ٠٠ فلايد أن أصل الى جزئ ٠٠ هو حد
أدنى لا يحلل ٠٠ طيب أين هو ؟ لم يره أحد ٠٠ مثل النقطة فى الهندسة ٠٠
ما هى ؟ هى ما ليس له أبعاد ٠٠ لكن هناك شيء فى الدنيا ليس له أبعاد ؟
أبدا ٠٠ هذا تصور رياضى تبنى عليه ، لكن لا تبحث عنه على الأرض ، لأن
كل ما فوق الأرض له أبعاد ٠٠

التصورات التى من هذا النوع بنيت عليها علوم ، لكننا كنا غافلين
عن أهميتها ، فدخلت كجزء على المنهج العلمى ٠٠ وعلى سبيل الاستطراء ٠٠
هناك عالم هندى كبير لا أنكر اسمه الآن ، له مايقرب من أربعمئة «تخمينه»
رياضية conjecture ، وأنا أعلم علم اليقين أن هذه التخمينات التى
تحولت اليها رسائل دكتوراه فى الولايات المتحدة وانجلترا ٠٠ الرجل لديه
المخ الذى يلعب بالرياضة انه يضع معادلة ٠٠ تنطبق كيف ؟ ينطبق عليها ايه؟
انها جاءت كـ (تكوينة) (تركيبية) أعطاها صياغتها الرياضية ، ثم يأتى
طالب فى رسالة دكتوراه يحاول أن يتبين حقيقة هذه المعادلة أو هل هى
(تخمينية) مما يصح للتطبيق أم لا ؟ فكثيرا جدا من تخميناته وجد أنها
بالتحليل ، وجد أنها تخمينات صادقة ٠٠

التخمينات التى من هذا النوع كثيرة جدا ٠٠ لا نريد الاستطراء أكثر
من ذلك ٠٠

هذه هى الفكرة الرابعة ٠٠٠

جاء القرن العشرين هذا ، وفتح أبوابه بحادثة العرب الملمية الأولى ٠٠
٤٠ ما بين الحرب الأولى والثانية ٠٠ أى من ١٩١٨ - ١٩٣٨ ، كانت هناك
ارهاصات للعالم الجديد ٠٠ ارهاصات تبدت فى بعض الثورات والحروب
الأهلية : ثورة روسيا ، الحرب الأهلية فى إسبانيا ٠٠ الفاشية فى ايطاليا ،
النازية فى ألمانيا ٠٠ الخ ٠٠

لما انتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، بدأ العالم حقيقة عصرا
جديدا ٠٠ ونحن لا نزال حتى يومنا هذا نتخبط فى تطبيق هذه الأفكار الكبرى

٠٠ فمثلاً : كيف يقام الحكم ؟ ما العلاقة بين الحاكم والمحكوم ؟ كيف تكون الحرية ؟ كل هذه تفريعات لا نهاية لها لا اجابة محددة لها .٠٠ انظر الى صور الحكم وكم هي متعددة .٠٠ تعدد الصور هذا بمثابة بحث عن صورة ملائمة .٠٠ كل واحد يحاول يجرب : هذه جمهورية برلمانية وهذه جمهورية رئاسية، وهذه سلطنة .٠٠ الخ .٠٠ الى أى حد يكون الشعب حراً ؟ ما معنى الحرية ؟ لقد اختلفنا .٠٠ منا من يقول انها حرية الفرد ، ومنا من يقول انها حرية المجموع حتى ولو ديس على عنق الفرد .٠٠ الاقتصاد : ما صورته ؟ لا توجد اجابة واحدة متفق عليها .٠٠ لا زلنا نتخبط .٠٠ ونبحث .٠٠ فما معنى هذا ؟ معناه محاولة الاجابة .٠٠ الوصول الى شكل نستقر عليه فى النقاط الأربعة التى أفرزت فى القرن الماضى .٠٠

٠٠ اذن نعود الى ما قلته ، أن القرن العشرين قد جاء بثورات كبرى : ثورة اللون مثلاً : (العصر الفيكتورى) فى القرن ١٩ ، كانت السيادة للون الأبيض وكان هناك تكليف للون الأبيض أن يحضر العالم ويثقف العالم ، انه قدره .٠٠ White man's burden .٠٠ الآن هناك ألوان أخرى : أسود وأصفر وغيره .٠٠ كل منها يقف للابيض قائلاً : على رسلك : لست وحدك !

ومع هذه الثورة ، جاءت ثورة الثقافات .٠٠ فمع وحدانية اللون ، كانت هناك وحدانية الثقافة .٠٠ الثقافة هى ثقافة الرجل الأبيض ، فاذا أردت أن تعرف : كم أنت مثقف ، فما كان عليك ألا أن تنظر : كم أخذت من ثقافة الرجل الأبيض ؟ فلما تحررت الألوان ، تحررت الثقافات .٠٠ كل لون له فنه وأدبه ، ولغته وموسيقاه .٠٠

لقد استطردهنا كثيراً .٠٠

نعود الى البداية .٠٠ فى العشرينات ، كان الرواد الأوائل ينقلون اليها هذه الأفكار الجديدة .٠٠ كل فكرة كنا نسمعها للمرة الأولى ، أنت تسألنى ممن تعلمت ؟ أجيبك بأنى كنت أقرأ كل ماكتب رواد الثقافة العربية الحديثة فى مصر ، كما كنت أقرأ أيضاً لرواد الثقافة فى انجلترا وخاصة على يد فريق Bloom Sburg .٠٠ من هنا تكونت على هذا النحو .٠٠

● المعلمين كان يدخلها تقريبا كل أوائل البكالوريا (الثانوية العامة) .
فلما رأيت كلية الآداب أن المتقدمين إليها قليلون ، بسل ان كثيرين منهم لم
يكونوا على المستوى المطلوب بسبب أن كثيرين من الدفعات الأولى أرسلوا
في بعثات الى أوربا ولم يستطيعوا الحصول على الدكتوراه وعادوا .. أين
هذا ممن كانوا بالمعلمين .. فكلية الآداب فتحت الأبواب لمن يشاء أن يحول
لها من مدرسة المعلمين (وكذلك العلوم) بأغراء شديد جدا .. وقليلون جدا
ذهبوا .. أنكر منهم : د . عباس عمار ، وزكى محمد حسن .. كانا زميلان
لى وذهبا .. الفكرة كانت غامضة بالنسبة لى ولذلك لم أفعل مثلهما ..

من الاغراء الذين قدموا أن الذى يحول ! يستطيع أن يبقى فى المعلمين .
وفتحوا فصول ليلية لذلك ... فهؤلاء تنبهوا وقالوا لناخذ الاثنين .. لكن
لسيطرة فكر الوظيفة لدينا ، سرنا فى طريق المعلمين .

— طب سيادتكم مارست التدريس كم سنة ؟

● والله نحو عشر سنوات ..

— هل لديك انطباعات معينة يمكن أن نسمعها عن خبرتك التعليمية فى
المدارس ؟

● نعم .. لحسن الحظ أو لسوءه .. كنت من بين الذين اختيروا
للتدريس فى مدارس الأوقاف الملكية ، فما هى هذه المدارس ؟ كانت هناك
خمس مدارس ثلاثة ابتدائى واثنين ثانوى .. هنا بالقاهرة ، ينفق عليها
الملك أولها ادارة خاصة فى القصر الملكى .. ولذلك .. اعتزازا لانتمائها
للملك ، كانوا يختارون مدرسيها بالتكليف ممن يعتقدون أنهم ممتازون ..
فضلا عن أننا عندما تخرجنا ، كانت هناك الازمة الاقتصادية العالمية الطاحنة
سنة ١٩٣٠ .. لذلك لم تكن هناك ولا وظيفة .. فلم يكن أمامنا مجال
للاختيار ..

بعد ذلك ضمت هذه المدارس الى وزارة المعارف سنة ١٩٣٥ ، فانتقلنا
طبعا معها الى هذه الوزارة ، فخبرت بذلك نمطين مختلفين جدا جدا أحدهما

عن الآخر ٠٠ والى الآن لا أستطيع أن أجد الجواب الصحيح ٠٠ عما كان هو الأفضل ٠٠ أما مدارس الأوقاف ، فكانت تختار الطلاب ٠٠ وتختار التلاميذ ٠٠ من الممتازين أيضا ٠٠ وكانوا يكلفونهم بأعمال شاقة كثيرة بحيث لا يجد الطالب لديه فراغا من الوقت ، وكانوا يحاسبون المدرس على نتائج الطلاب حسابا عسيرا ٠٠

فلما تأتي السنة السابقة على الشهادة ، كانوا لا ينقلون الا الطالب المضمون نجاحه ، ولذلك كان القصر الملكي بنفسه حريص على أن نتائج هذه المدارس تكون ١٠٠٪ لالا اهتزت كرامة الملك ، تصور الطاحونة التي كان ينبغي أن تعمل ٠٠ على أى حال كانت لكي تصل الى هذه النتيجة التي اذا لم تحدث فكان هذا هو نهاية العالم ٠٠ فكان الأوائل كانوا منها دائما ٠٠ وكان يقال أن هؤلاء تفوقوا بالشغل الشاق ، لكنهم عندما انتقلوا الى الجامعة كثير منهم فشلوا ٠٠ هل كان هذا حقيقة ، أم حقد من المدارس الأخرى ؟ لا أدري !

أما مدارس المعارف فكانت تسير بهوادة ، طبعاً مع الاختلاف الشديد بينها فى ذلك الوقت وبينها فى ذلك الزمن ٠٠ ولكن على أية حال ، لم يكن هنالك حقدا (الكرياج) وراء الطالب أو وراء المدرس ٠٠٠

الآن أقول ان مدارس المعارف أفضل ، ولو كانت النتيجة أقل لأنى أميل الى أن تترك مساحة كافية لجهد الطالب الذاتى وحريته ٠٠ لفطرته وميوله ٠ لا يصب فى قالب من حديد ٠

البعثة :

سافرت سنة ١٩٤٣ فى بعثة الى لندن قررت هناك مختارا حيث كان باستطاعتى أن أحصل على اعفاء من ال (الدرجة الجامعة) ، ولكنى أعلم أن الدكتوراه لا تفيد كثيرا ٠٠ أنها بحث لا تضيف كثيرا ٠٠ ان الذين يذهبون الى انجلترا لا يمكنهم نظام ٠٠ « الرسائل » من الاستفادة كثيرا ٠٠ الفائدة تكون فى دراسة المقررات ٠٠ لقد ذهبت كبيرا فى السن ٠٠ فى سبتمبر ٠٠ قلت لرئيس القسم أننى سألتحق بالـ B.A. فى الصيف ٠٠

قال : لمن تستطيع .. قلت له .. اننى كبير فى السن .. قال : ولو .. اننى نفسى لا أستطيع .. أنها مسألة عدد من الكتب مقررة لن تسمح لك هذه الفترة باستيعابها .. وبالفعل ، كان مقررا علينا فى الفلسفة ١٤ كتابا مرحبا .. وكانت الامتحانات شاقة .. تفصيلية .. كان يجىء سؤال مثلا كما يلى : ما هى أهم النقاط التى وردت فى الفصل التاسع من كتاب الأحلام لأرسطو ؟ فاما أن تكون حافظا لهذا الكتاب ، والا فلن تستطيع اجتياز هذا الامتحان .. كان يسأل فى تفصيلات الكتب .. أسئلتنا هنا مقالات .. ومن هنا يمكن اللف والدوران ، أما هناك فهى تحصيل التحصيل .. لكن ربنا وفقنى وحصلت على درجة first degree honot ولم يكن يحصل عليها الا عدد قليل جدا .. فاعتبرت حاصلا على الماجستير ، وكان لى الحق فى التسجيل للدكتوراه فورا .. فسجلت بالفعل .. واخترت أولا موضوعا عن أفلوطين بالاسكندرية ، فاخبرنى الأستاذ بأنه غير كفاء للإشراف على هذا الموضوع والأفضل أن يدرسه فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بنفس جامعة لندن .. لكننى لم أرغب فى الدراسة بهذه المدرسة لتعدد وتنوع طلابها حيث لم أرغب فى هذا ، فقلت : أغير الموضوع ، فكان أن اخترت موضوع self determination (الجبر الذاتى) .. ثم عدت الى الجامعة المصرية ..

التدريس بالجامعة :

عندما عدت الى الجامعة وبدأت تتبنى اتجاه الوضعية المنطقية .. هل صادفتك عقبات ومشكلات على المستوى العملى ؟

● .. والى الآن .. بس أنا كنت فى بداية حياتى ملئء بالحماس لدرجة لا أستطيع أن أصفها لك .. فلو كان كل مصر ستقف لى بالحراب ، كنت أصر على تبليغ الفكرة .. ومن حسن الحظ ، أنهم أعطونى مادة المنطق التى لم أكن فى ذلك الوقت متخصصا بدرجة الدكتوراه فيها ، إذ لو تأملنا موضوعها ، فهو أدخل فى باب الأخلاق .. لكنهم أرادوا أن يتخلصوا من هذه المادة ، فقلت : أهلا وسهلا ..

وأى مادة كنت سأدرسها ، كنت سألتمس فيها الطريقة التى أو من

بضرورة عرضها ، طبعاً مع الالتزام بالنقاط التي كانت المادة تحتوى عليها
فى العادة ..

الفكرة فى كلمتين .. لا أدرى لماذا المعارضة ، وخاصة هنا فى العالم
العربى ، نحن نشعر بمسئولية الكلمة .. بمسئولية الجملة ، حتى فى المجال
العلمى .. يعنى لو كان الأمر أديب يزخرف ، فليزخرف أدبه ولكن فى المجال
العلمى .. لا .. ان العبارة التي تقولها لا بد أن تكون قابلة لأن تخضع لمحك
التجربة ، ولمحك النقد الموضوعى للآخرين ، بحيث لا تكتب هكذا على
مزاجك .. اذا أردت أن تكتب على مزاجك ، أكتب قصيدة شعر ، ونحن
منحصرين فى منهجنا بدائرة العلم ، ولا شأن لنا ببقية أنواع الكلام وهى
كثيرة .. اذا أردت أن تكون محسوباً على العلم وعلى التعبير العلمى ،
غلابد أن تخضع لشروط العلم ، وأبسط شرط فيه ، أن يكون الزعم خاضعاً
لأن يحقق : اما يقبل أو يرفض .. فما لا يقبل التحقيق يرفض .. لأنه لا يملك
جواز المرور ..

وإذا أردت أن تعرف كم نحن محتاجون الى هذا النهج العلمى ، أنظر
فى المذكرات الرسمية ؛ وحتى فيما يكتبه الأساتذة ، البيانات ، الخطب ..
فلا وعى هناك بأنها غير علمية فى تعبيرها .. هذه مسألة طويلة .. عريضة
جدا .. ياه .. وللان يسألونى : هل مازلت بـ أقول : نعم ، فيقولون أن
وطأتها خفت فى الغرب ، لكن جوابى ، أن ذلك تم هناك لأنها تشكلت بشكل
جديد . ولكن فكرة اللغة التي تستخدمها لأداء الفكر ماذا ينبغى أن تكون
خاضعة له ؟ هذه مسألة لا ينتهى زمانها .. أنها فتح من الفتوح .. أن يتبناه
الفكر فى هذه الفترة لذلك ..

— والغريب ، أن (التحليلية) فى السنوات الأخيرة قد غزت الفكر
التربوى بشكل ملحوظ ..

● والذين كانوا يتهمون على فى الجامعة .. الآن أسمع أن معظم
الرسائل من هذا المجال .. !!

— هل نستطيع أن نقول أنك قد استطعت أن تحفر فى الفكر الجامعى
فى مصر اتجاهها بشكل مدرسة لهذا اللون من الفكر ؟
(الدراسات التربوية)

● أعتقد ذلك ، ولكن بتحفظات ٠٠ فهناك من أخذوا هذا الخط وتشبعوا به ، ولكن من غير الايمان بضرورة تشكيله بالطريقة التي تنتقل به من داخل أسوار الجامعة ، الى خارجها ٠ طبعاً اذا انتقلت بهذا الفكر الى خارج أسوار الجامعة يلزمنى نوع آخر من العرض ، واذا مرة كتبت مقالا أغضب كثيرين ٠٠ عن (الفلسفة خارج الأسورا) ٠٠ هنا منهج هذا الاتجاه من أهم ركائزه : أن الفلسفة منهج بغير موضوع ! مامعنى ذلك ؟ معناه أنك فاتح معمل تحليل ٠٠ معمل التحاليل : لديه أجهزة تحلل ٠٠ تحلل ماذا؟ تنتظر المادة التي تجيء لك : دم ٠٠ بول ٠٠ أجسام ٠٠ الأجهزة قبل ان تجيئها المادة ، مستعدة للتحليل ، والفلسفة فى تصورى ٠٠ وفى تصور سقراط - لأن التصويرين متشابهان جداً - هى نظارة ٠٠ النظارة عندما اشتريها من (النظراتى) لا تقل لى : هذه النظارة لا بد أن تقرأ بها الكتاب الفلانى ، أنها طريقة رؤية ٠٠ بماذا ترى بها ؟ هذه مسألة تترك لك ٠٠٠

هذا المنهج كل همه أن يجعل الجملة صالحة أن تكون علماً ، وهذا لا يتأتى لها الا اذا راعت مواصفات القول الموضوعى : ماذا شروطه ، فاذا رأينا جملة ٠٠ دخلت بها وجدانياً وتوسائل عاطفية ٠٠ نضبطها ٠٠

فلكى يصبح مدرسة الفلسفة جدوى « فلا بد من تدريب عملى للطلاب » فضلاً عن المقررات التي يتلقاها ٠٠ تدريب على كيف : يحلل الفكرة ؟ انه لن يخرج عن مجاله ، لأن الفلسفة كلها بها عنصر التحليل واضح جداً ٠٠ كل ما هنالك أشد انتباه الطالب الى المنهج الذى يستخدمه الفيلسوف ليحلل الأفكار ٠٠ هنا يخرج مسلحاً ، فاذا كان لديه شئ من الموهبة التي يشارك بها فى الحياة الفكرية العامة ، سيجد وفرة من الأفكار الغامضة ، الناس يدورون فى دوامة من الأفكار الغامضة ، وهم لا يشعرون ، ويتعاركون حول أفكار هى غامضة ، لو طلب منهم علمياً أن يحددوا ماذا يريدون بها ، لن يستطيعوا الجواب ٠٠ فهنا فرصة هائلة لدارس الفلسفة ليحل بقلمه وبفكره لتوضيح المعانى ٠٠

لو تأملت فى الكم الأكبر مما أكتبه فسوف تجد أنه (توضيح معان) !

— كيف كانت العلاقات بينك وبين الزملاء من الأساتذة فى الجامعة ؟

● حقيقة كان لها وجهان : الوجه الأهم هو أنني بسبب انجذابي نحو بيتي دائما . فأنا الآن لا أخرج من البيت . . . وكنت طوال حياتي أخرج مضطرا الى العمل . ولكنى أحب البقاء فى البيت . . . فكنت اذهب الى الجامعة بمقدار ما هنالك من عمل بالضبط . . . أذهب فى الدقيقة الأولى وأخرج فى الدقيقة الأخيرة الى البيت ، فكانت الفرصة كبيرة أمامى كى أكون محايدا . . . فلا تنتفتح أمامى المشكلات التى تكون موضع عراك بين الزملاء . . . ولكن لا يخلو الأمر برغم هذا من أنني وجدت مقاومة شديدة جدا ، ظاهرة أحيانا وخافية أحيانا أخرى . . . وتشويه سمعة كان يخفى أحيانا ويظهر أحيانا على أساس أنني سائر على الشاطئ غير المشروع للفلسفة كما يتصورون . . . كان هذا يحدث علنا أحيانا عند من يشجعون على الاعلان . . . وخفاء أحيانا أخرى عند من لم يكونوا يشجعون . . .

— أنا كشاهد على الفترة من ١٩٥٥ - ١٩٥٩ ، لا أذكر أنك ولو مرة واحدة ذكرت أمامنا نحن الطلاب زميلا لك بسوء ، على عكس ما كان يحدث من بعض هؤلاء تجاهك حيث كانوا يغمزون ويلمزون عليك وكنا نفهم أنهم يقصدونك بهذا . . . ونحن كطلاب فى ذلك الوقت ، بل وفى كل وقت دائما نحترم أكثر ، هذا الأستاذ الذى يحترم زملاءه لأن هذا جزء مما يجب أن يكون عليه أستاذ الجامعة . . .

.. وفى النهاية نشكر لأستاذنا هذا الجهد الذى كلفناه . . . لكن هكذا طالب العلم منهوم لا يشبع . . .

أستاذ الجامعة ودوره خارج أسوارها :

— ان هذا يجعلنا ننتقل الى قضية أخرى يطرحها البعض ، وهى أن أستاذ الجامعة عندما يترك أسوارها ويكتب فى الصحف والمجلات العامة ، يتصورون أنه خرج عن وظيفته الأكاديمية ، وأن كتاباته لعامة الناس تخرجه عن العمق الأكاديمى ليغرق فى التبسيط الشديد . . . ما رأيك ؟

● نعم هذا صحيح . . . ولكن الأستاذ يستطيع أن يلتف فقط فى نصوصه الأكاديمية ، فيصبح أستاذا فى الجامعة فقط ، ولكنه - أى مثل

د زكى - لم يبلغ وظيفته الأكاديمية ، وإنما أضاف إليها ٠٠ مثل واحد عنده ورقة بعشرة جنيهات ٠٠ أما أن تظل معه هكذا ، أو يفكها جنيهات ٠٠ الاثنتين عشرة جنيهه ، لكن هذه مجمدة ، وتلك فكة ، فاما أن تأخذ النص بأكاديميته وتحلله أكاديميا ، فلا يسرى فى السوق ٠٠ إذا أردت أن يسرى فى السوق ، فلا بد من أن تفككه ، لأن الدكاكين التى تتعامل معها تتعامل بالخمسة قروش والعشرة ٠٠ وهكذا .

الأكاديمى الذى يعرف كيف ينتقل بمادته الى جمهور المثقفين هو لم يبلغ أكاديميته ، وإنما عرف كيف يذبيها ، الذوبان الذى يجعلها شرايا يمكن شربه ٠٠ طه حسين عندما كتب حديث الأربعاء ٠٠ أنها من أحسن كتبه فى النقد الأدبى ٠٠ وهى تجميع لأحاديثه فى جريدة السياسة : هل ترك أكاديميته أبدا ، وإنما عندما عرض موضوعه ، اصطبغ طريقة فى العرض لا يملها الطبيب أو المهندس الذى يقرأ ، فإذا انتقل بهذا الموضوع الى طلابه فى كلية الآداب ، فربما كثف كلامه بأكثر من ذلك ٠٠ فهناك كسب وليست هناك خسارة ٠٠٠ أنها قدرة تضاف ٠٠ لا قدرة تحذف ٠٠٠

وقد تحدث د زكى بعد ذلك عن مسائل تخص طريقته فى الكتابة ٠٠ فهو لم يكتب مسودة لما يكتب سواء رسالة أو بحثا أو مقالا أو كتابا ٠٠ ولا يكاد يشطب كلمة مما يكتب ٠٠٠ ثم تحدث عن كيفية تغلبه على الحالة التى ظل يعانى منها فى السنوات الأخيرة ، وهى الضعف الشديد فى النظر ، الى الدرجة التى يرى فيها ما يكتبه من كلمات ٠٠ مجرد أشباح ٠٠٠ وحاليا يمسك عدسة بيده الشمال والقلم بيده اليمين حتى يمكن له أن يرى السطر ٠٠٠

الجامعة والسياسة :

— إذا سمح لنا أستاذنا الجليل ، هنا لك علامة استفهام تلح على ٠٠ فعندما التحقتم بالجامعة فى أواخر الأربعينات ، كان المجتمع الجامعى مواكبا للمجتمع المصرى ، يصطبغ بكم كبيرا من صور الصراع السياسى والاجتماعى ٠٠ فأين كان د زكى نجيب من هذا ؟

● الحقيقة ٠٠ لك حق أن تسأل هذا السؤال ، ان السياسة لم تمسنى

الا كمواطن يتأثر بالعالم الذى حوله ثم لا يتخذ خطوة ايجابية بعد ذلك ..
هناك فرق بين موقفين : أن تحصل الفكرة أو تتأثر بالانطباع المعين أو
غيره .. هذا خطوة .. ثم هناك خطوة أخرى وهى أن تتفعل بهذا فتتخذ هذا
الاجراء أو غيره ، وهذه الخطوة قد تأتى وقد لا تأتى .. يختلف الناس فى
هذا فأنا مثلاً فى نواحي الفكر العام من النوع الأول .. أى أحب الأفكار
.. علقى شوكة رنانة لاقطة للأفكار ومغربلة لها ونافذة لها ، وأنسج منها
القماشة التى أريد أن أنسجها ، وأحب أن أتجه بها نحو الناس ولذلك تجد
كتاباتى كلها متجهة نحو هدف ، هو الحياة الجديدة ..

لكن فى المجال السياسى أتلقى وأتشرى وأقف عند هذا الحد .

— هل نفهم من ذلك أنك لم تتعرض فى فترة ثورة يوليو سن ١٩٥٢ ،
خاصة وأنت كنت صاحب فكر معين يختلف مع الفكر السائد .. لم تتعرض
الى أى مضايقات سياسية ؟

● كلا .. حقيقة لم تحدث لى مضايقات ..

— حتى عندما ترأست تحرير مجلة (الفكر المعاصر) والتى اتجهت
بها اتجاهاً يختلف عما ساد فى مجلة الطليعة ، ومجلة الكاتب .. وعموماً ..
كان التيار اليسارى هو السائد ...

● قبل صدور العدد الأول ، أعلنت فى الصحف أنها « مجلة لا تعرف
اليمين واليسار ، هى للفكر الجيد .. ، فقامت ضجة : لا ، نحن بلد يسارى
.. لكن لم تأت لى معارضة من الجهة المسئولة .. الا ربما مرة .. لم تكن
ذات أثر من وزير الثقافة .. لماذا لا تخدم المجلة أغراضنا ؟ فقلت : والله
أنا لا أخدم الا الفكر .. اذا كنتم تريدون غير هذا ، فتستطيعون أن تبحثوا
عن رئيس تحرير غيرى ...

أما كيف سرت بالمجلة وسط هذه التيارات التى تقول عنها ، فوالله
(بقدرة قادر) .. أنا هاوى .. بمعنى أن لى هدف .. فاذا وجدت الأداة
التي تخدم هدفى زى مجلة ، أوجب ، وهذا هدف نبيل .. ان هذا البلد لا بد

أن يستتير ٠٠ فما هي المصاييح التي تنير ؟ ان عصور التنوير كلها محورها
واحد ، وهو مزيد من المعرفة ٠٠ ومزيد من زمام العقل !

— ثم توجهنا الى مفكرنا بسؤال عن كتاب « مسائل فلسفية » الذى
اشترك معه فى تأليفه لطلاب الثانوية العامة د٠ نازلى اسماعيل ، ود٠ عزمى
اسلام ، فقال ٠

● لقد جاءنى د٠ مصطفى كمال حلمى داعيا لى أن أشارك فى تأليف
الكتاب ٠ وفقا لمناهج التى استجدت فحاولت أن أعتذر له ٠٠ المهم جمعنا
عدد كبير من المشتغلين بالفلسفة فى الجامعة وفى الوزارة لندناقش خطة
العمل ، وأنا أعددت خطة ، بسرعة البرق ، الخطة ووفق عليها التى تتلخص
فى ألا تبقى تاريخ متصل لأنه قال لى أن القسم العلمى سوف يشارك فى
تعلمها ، فأنا قلت ، أحنا نأخذ مسائل تعبر عن العصور الفلسفية ويستسيغها
أى متعلم ، أدبى أو علمى ٠٠ كان جيدا جدا ٠٠ لكن لما ألفت على أساسه
الكتب ، أنت تعلم أن أصحاب الاختصاص لا يستطيعون دائما أن يتخيلوا
الصورة التى تعرض بها المادة للفئات المختلفة ، مثلا أنا أحيانا بالنسبة
للمقالات التى أنشرها فى الأهرام أضع فيها فلسفة ، لكنها تناسب القارئ
عادة ، فلكل مقام مقال ، لكنهم فى الكتاب المشار اليه ، لم يحسنوا العرض ،
ولكن ماذا تصنع ؟ لقد هوجمت هذه الكتب ، ان المادة العلمية التى بها من
حيث الصواب والخطأ لا أحد يستطيع أن يقول عليها شىء المؤلفون متخصصون ،
الصواب والخطأ لا أحد يستطيع أن يقول عليها شىء المؤلفون متخصصون ،
ومنهم من تعلم بالسريون ، ولكن المسألة أيضا ، هى مسألة الـ sence
الاحساس بالطريقة التى تعرض بها المادة للفئات المختلفة يعنى لو جاءتنى
مجموعة من الأطباء والمهندسين لأتحدث معهم فى الفلسفة ، فلا بد أن أشكل
الكلام ليناسبهم ٠٠ سوف تكون المادة هى ٠ ولكن الطريقة تختلف ٠٠
نحن فى هذا كمثل الصائغ لديه قطعة ذهب ، تقول له : اصنع حلقا ، اصنع
منها أسورة ، يصنعها لك كما تريد ٠٠ المادة هى هى ، والصياغة يجب أن
تناسب المطلوب ٠٠ لكن مع الأسف الكتب كما خرجت الى التنفيذ - فى
رأبى - سيئة جدا !

اذن فللاستاذ العالم حق فى نقده (فى الدراسة التى نشرت بالعدد

الأول) أما إذا كان يهاجم الكتب بسبب النظريات الاجتماعية التي يقول
بها ، فهذا هوس ٠٠ دول ناس ٠٠ محمود أمين العالم أنا احترمه جدا ،
لقد امتحنته في الماجستير ، وأقدر أقول أن رسالته كانت من أحسن الرسائل
التي رأيتها ، كانت جيدا جدا ، وأعلم أن عقله جيد ومستنير ، ولكنه متسلط
عليه فكرة مسبقة ، وأعوذ بالله ممن تركبهم أفكار مسبقة .